صفحات مطوية

من تاريخ طرابلس الشام

في العصرين الوسيط والحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن التاريخ هو ذاكرة الشعوب، وسجل حضارتها، وبيان تميزها ورقيها، أو انحلالها واندثارها. وبقدر ما يكون تاريخ بلد ما حافلا بالعمران والعلم والعلماء، بقدر ما يكون تميزه عن غيره.

وطرابلس الشام، مدينة التراث العريق، يمتزج فيه الحاضر بالتاريخ. ومنذ القدم عرفت بموقعها الجغرافي المميز، لأنها صلة الوصل ما بين الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط والداخل السوري والعربي، مما جعلها مركزًا تجاريًا مهما، ولا أدل على ذلك من اختيار الفينيقيين لها لتكون حاضرة لممالكها الثلاث.

«واليوم طرابلس تضم عددًا كبيرًا من البنى التاريخية والأثرية، وهي متكاملة: بأحيائها، وأسواقها، ودُورها، وأزقتها المتعرجة الملتوية، والمسقوفة، ومعالمها، كما تضم أكثر من 160 معلمًا، بين قلعة، وجامع، وكنيسة، ومدرسة، وخان، وحمام، وسوق، وسبيل مياه، وكتابات، ونقوش، ورُنوك[1]، وغيرها من المعالم التاريخية والفنية». الأمر الذي جعلها متحفًا تاريخيًا حيًا بكل ما تعني الكلمة من معنى.

هذا الغنى التاريخي يبرز أهميتها ومكانتها، فلا غرابة بعد ذلك أن يطلق عليها (مدينة العلم والعلماء) و (دار العلم) حيث أسس فيها الفاطميون في القرن الرابع هجري، الحادي عشر ميلادي، مكتبة ضخمة كانت تضم ثلاثة ملايين مخطوط، بحسب الدراسة التي أعدها أستاذنا العلامة المؤرخ الدكتور عمر تدمري حفظه الله تعالى.

---

[1] – جمع (رَنْك) وهي كلمة فارسية ومصطلح يطلق على الشعارات والرسوم التي يتخذها كل قائد لنفسه، وكل دولة لتتميز بها عن غيرها.

كما أنه لا توجد منطقة في التاريخ تعاقبت عليها امبراطوريات وممالك مثل طرابلس كونها جزءًا مهمًا من بلاد الشام (سورية التاريخية)، والتي تمتد من منطقة العريش في سيناء إلى ضفاف نهر الفرات في العراق، فما بينهما هي بلاد الشام، وتحتل طرابلس منها مركزًا متقدمًا، فهي ساحل هذه المنطقة تاريخيًا على البحر المتوسط، ونافذتها إلى أوروبا والعالم.

النقوش التاريخية

هذا وقد كتب الكثير في تاريخ هذه المدينة، وأجمعه على الإطلاق ما كتبه أستاذنا مؤرخ طرابلس الدكتور عمر تدمري عن: تاريخها، وعلمائها، وأوقافها، ومساجدها، وجميع آثارها، ومن ذلك الكتابات التاريخية على جدر مساجدها ومدارسها المملوكية، فهذه الكتابات لا تقتصر فقط على تواريخ البناء وصناعة المنابر، وإنما أيضًا هي فرمانات سلطانية وأميرية ترفع المظالم عن الناس وتنصفهم، لذلك تعتبر سجلات حضارية وإنسانية بكل ما للكلمة من معنى، منها الكتابات على جدار المدرسة القرطائية[2] القبلي من خارج، وهي الآن للأسف مطموسة بالكامل، إلا أن الأستاذين الكريمين رفيق التميمي ومحمد بهجت حفظا لنا ما جاء في هذه الفرمانات في كتابهم (ولاية بيروت) ضمن (الكتابات التاريخية: ص 119)، فمنها مثلا: فرمان أصدره السلطان الصالح سنة 817هـ، هذا نصه:

[2] – المدرسة القرطائية (القرطاوية)، سميت بهذا الإسم نسبة إلى مؤسسها الأمير شهاب الدين قرطاي الأشرفي وذلك سنة 726 هـ / 1326م. تعتبر المدرسة القرطائية أكبر وأفخم مدارس طرابلس المملوكية، وبابها الأساس من أفخم بوابات العمارة المملوكية في مصر والشام. وعلى جدارها الجنوبي من خارج ثمانية مراسيم سلطانية مملوكية حفرت عليه. (ينظر: مساجد ومدارس طرابلس الفيحاء، الصادر عن دائرة أوقاف طرابلس. سنة 2003، ص: 26).

(الحمد لله .. رسم بالأمر العالي السلطاني الملكي المؤيدي أبي النصر شيخ، أعلاه الله وشرفه، وأنفذه وصرفه بإبطال المظالم المحدثات على أهل طرابلس من التحجير على قوت العباد من القمح واللحم، والخبز والطرح، وغير ذلك، بحيث لا يعود. ويبطل ذلك جميعه في هذه الأيام الزاهرة، خلد الله سلطانها، وأدام قدرته على المسلمين، بتاريخ خامس عشر شهر ربيع الأول سنة سبعة عشر وثمانماية. والحمد لله).

فمثل هذه الكتابات التاريخية هي عبارة عن فرمانات سلطانية لرفع المظالم وإبطال الضرائب التي لم يأمر بها القرآن، كما جاء في الكتابة على الباب الشرقي الموصل إلى حريم الجامع أيضا.

ومنها أيضا منشور السلطان قايتباي (ت:889هـ)، وهو محفور على الحائط نفسه قبلي المدرسة القرطائية، بين النافذتين الثالثة والرابعة، وهذا نصه:

(الحمد لله .. لما كان بتاريخ العشرين من شهر الله المحرم الحرام سنة 889، ورد مرسوم الشريف، العالي، المولوي، السلطاني، الملكي، الأشرفي، السيفي، أبو النصر قايتباي، أعلاه الله وشرفه، وأنفذه في الآفاق، وصرفه بإبطال مُكسِ الدواليب الحرير، والقصابة بالكهف، والقدموس، وإبطال مكس نحيرة البقر والجاموس وقطع الضأن، وقدم الأساكفة بالقدموس والخوابي على حكم ما بيدهم من المراسم الشريفة على جاري عادتهم بقصته بالخط الشريف المرفوعة عن أهل الكهف والخوابي والقدموس بتاريخ تاسع شهر رمضان المعظم قدره سنة ثمان وثمانين وثمانمائة).

والقرى المذكورة في الفرمان: القدموس، والخوابي، وأهل الكهف، تقع في ريف اللاذقية، وتقطنها الطائفة العلوية، وهي كانت إداريا تابعة لولاية طرابلس الشام.

وبين النافذتين الثانية والثالثة فرمان آخر يحذر فيه الوالي أحد المسؤولين من مغبة أخذ مال من أهل الذمة زائد على الجزية الشرعية، وهذا نصه: (إن الوالي قنصوه اليحياوي سمع بأن ناظر القصر يدفع نصف ما يجب عليه دفعه من مخصصات الحرمين الشريفين في كل سنة، ويجبي النصف الآخر من قروي الأراضي الموقوفة) فيذكر في الفرمان أن هذا العمل اختلاس، وأنه ممنوع البتة، ويؤمر فيه بأن لا يؤخذ من هؤلاء القرويين إلا الجزية الشرعية – من أهل الذمة –، أو المال المقرر – أي الخراج من المسلمين –.

هذه الصفحة من تاريخ طرابلس تثبت أن الأمراء والسلاطين كانوا لا يقرون الولاة على ظلمهم عندما تبلغهم الشكاوى، فيبطلون المظالم بفرمانات تحفر على جدران المساجد والمدارس تأكيدا عليها، وتأبيدا لأحكامها.

كما أن هذه الفرمانات تدل على كثرة المساجد والمدارس في طرابلس الشام، وبالتالي كثرة الأوقاف التي كانت ترصد لخدمتها وللإنفاق على أهل العلم وطلبته فيها، مثل مسجد طينال والمدرسة البرطاسية مثلا، حيث كانت لهم أوقاف كثيرة، الأمر الذي سهل على العلماء وعلى طلبة العلم ورود المدينة والأخذ عن علمائها والدراسة في مدارسها، وحتى الإقامة الدائمة فيها.

الشيخ أحمد بن سليمان الأروادي النقشبندي

مفتي طرابلس الشام

ومن هؤلاء العلماء الإمام أحمد بن سليمان الأروادي النقشبندي، الخالدي، الشافعي، المتوفى سنة 1275هـ، رحمه الله تعالى، وقبره في الجبانة الملحقة بالمدرسة المعروفة بمدرسة الدبها بجانب مسجد سيدي عبد الواحد. والذي كان يتنقل بين طرابلس وجزيرة أرواد التي كانت تتبع إداريا لولاية طرابلس، وعندما يأتي طرابلس كان ينزل في المدرسة.

وهذه المدرسة جاء اسمها في (خطط الشام)[3] (الدبَّها)، ونسبها إلى الشيخ عبد الله الدبها الحلبي النقشبندي، وأنه بناها سنة (1234هـ) كما هو محفور فوق مدخلها قريبا من سوق الصاغة، وأنه أوقف عليها أوقافا حسنة ودفن فيها، وتقام فيها الصلوات.

وعلى الصحيفة الأولى من مخطوط ثبَت الشيخ الأروادي (كتاب العِقد الفريد في علُوِّ الأسانيد)، كتبت ترجمة تعريفية بالشيخ الأروادي بعد وفاته رحمه الله تعالى، جاء فيها: «مؤلف هذا الثبَت السيد أحمد الأروادي، توفي في حدود سنة 1275هـ، ودُفن بمقبرة **مسجد الدباء** لصيق حائطه القبلي بطرابلس الشام». والثَّبَت كتبه الشيخُ لتلميذه ضياء الدين الكُمُشخانوي، وسيأتي الكلام عنه، وقد كان نسخ الكتاب على حياة الشيخ رحمه الله تعالى وذلك سنة 1271هـ، أي قبل وفاته بأربع سنين، واسم ناسخه محيي الدين الحِبْشي.

---

[3] – كرد علي، خطط الشام، 6 / 127.

وقد اجتهدت في التعرف على الشيخ عبد الله الدبها الحلبي فلم أجد من ذكره في كتب التراجم، لا في حلية البشر، ولا في تراجم علماء حلب، ولا في طبقات النقشبندية. باستثناء ما ذكره أستاذنا الدكتور محمد درنيقة[4] رحمه الله تعالى نقلا عن خطط الشام. فالله أعلم.

وجاء اسم المسجد (الدبَّها) في كتاب الدكتور الشهيد صبحي الصالح رحمه الله تعالى (نثر اللآلي في ترجمة أبي المعالي الشيخ عبد الكريم عويضة).

وقد أدركت كبار حيِّنا يطلقون عليه تسميه (مدرسة الدبا)، حيث إنَّ بيت العائلة كان بالقرب من المسجد.

وقد حرَّف محقق مخطوط كتاب (إرغام المريد)، الذي نشرته المكتبة الأزهرية للتراث، اسم المسجد إلى (مسجد الدنا)[5].

والثابت تاريخيا أن اسم المدرسة (الدُّبها)، ويؤكد ذلك ما جاء في كتاب (الأثر الحميد في مناقب سيدنا الأستاذ الشيخ محمد رشيد) تأليف حفيده خادم الآثار النبوية، والإمام والمؤقت في الجامع الكبير المنصوري محمد رشدي بن خير الدين الميقاتي (توفي في العام 1350 هـ)، وهو الذي حُفِر اسمه على الأثر النبوي الشريف الذي أهداه السلطان عبد الحميد خان الثاني رحمه الله تعالى إلى طرابلس.

وهو كتاب لطيف مفيد، يجمع فيه مؤلفه مناقب وأخبار عالم كبير من علماء طرابلس الشام، هو: الأستاذ الشهير، والقطب الكبير، والولي الصالح، الشيخ محمد رشيد الميقاتي (1198هـ – 1282 هـ)،

---

[4] – الطرق الصوفية ومشايخها في طرابلس: 199

[5] – ص 68 .

إمام الجامع الكبير المنصوري، والمؤقت المعتمد فيه لأوقات الصلاة، وزميل الشيخ سليمان الأروادي في الطلب وصديقه الودود.

والهدف من جمع هذا الكتاب حضُّ السالكين على التأسي بهذا العالم الكبير واقتفاء آثاره، ذلك أن أخبار الصالحين الأبرار فيها تهييج للقلوب الخالية، وتنشيط للنفوس وحضها على علو الهمة والاقتداء بطريق السابقين والاقتباس من مشكاة أنوارهم.

وهذا الكتاب (الأثر الحميد) سجل حافل، دُوِّنت فيه أخبار مهمة تعود إلى القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، الثامن عشر والتاسع عشر ميلاديين. كما حوى ذكر جماعة من أعيان طرابلس من أهل العلم والفضل، إضافة إلى أنه ملأ فجوة مهمة في تاريخ طرابلس تضاربت حولها المعلومات بسبب ما أصاب أجزاء من سجلات المحكمة الشرعية من تلف، بحيث صارت هناك فجوات في المعلومات الوقفية بسبب فقد أجزاء من السجلات. فجاء هذا الكتاب ليسد جزءًا من هذا الخلل. من ذلك مثلا ما يتعلق (بمدرسة الدبَّها)، ذلك أن الشيخ الرشيد وزميله الأروادي كانا من تلاميذ الشيخ عبد الله الدبها.

يقول الشيخ رشدي الحفيد رحمه الله تعالى في الصحيفة (31) من الكتاب:

«ثم إن سيدي الجد، بعد أن أتمَّ تحصيل العلم على يد شيخه الشيخ يحيى المشار إليه – أي الشيخ يحيى المسالخي الحلبي الطرابلسي – تلقى علم الميقات والحساب عن شيخه الشهير، والولي الكبير، الطائر الصيت في علم الميقات، الشيخ عبد الله الدبَّها، منشئ المدرسة المعلومة بطرابلس».

فعرفنا أن المدرسة منذ أُنشئت عرفت باسم مدرسة الدُّبها، وأن منشئها هو الشيخ عبد الله الدبها الحلبي الشافعي مذهبا، وكان متخصصا بتحديد مواقيت الصلاة (علم الميقات)، علما أنني لم أجد له أية ترجمة في الكتب التي ترجمت لعلماء حلب في القرن الثالث عشر هجري، وكل من اشتغل بهذا العلم لقب

بالميقاتي، وكان إنشاؤها سنة 1234هـ، وهذا التاريخ سابق على تاريخ وفاة الشيخ الأروادي سنة 1275هـ، فيكون الاسم الوارد على صفحة الثبت (الدباء) مصحف عن (الدبها). وكانت هذه المدرسة قبل ذلك تعرف بالمدرسة البروانية نسبة إلى فخر التجار أحمد بروانه الذي جدد بناءها سنة 1163 هـ، وكانت قبل ذلك مسجدا ملحقا بالتربة الأرزَنية ووقفيتها التي سنتكلم عنها الآن، والتي تعتبر أقدم مقبرة باقية من زمن المماليك، حيث يعود إنشاؤها إلى آخر القرن السابع الهجري.

التربة الأرزَنية المملوكية

إذن مدرسة الدبها، تقع بجانبها مقبرة تاريخية، وهذه المقبرة تعرف بحسب دفاتر الأرشيف العثماني بوقف التربة الأرزَنية، وهذه الدفاتر هي التي بنى عليها أستاذنا المؤرخ الدكتور عمر تدمري دراسته (الأوقاف الإسلامية في طرابلس الشام من وثائق الأرشيف العثماني وأهميتها في رصد حركة العمران) والتي نشرت ضمن أعمال المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام / أيلول 2006/ تحت عنوان (الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح العربي الإسلامي إلى نهاية القرن العشرين)، المجلد الرابع خاص بلبنان. والذي نشرته الجامعة الأردنية سنة 2010م.

جاء في هذه الدفاتر[6] ما يأتي: «وقف التربة الأرزَنية في محلة باب الحديد بقرب زاوية المغاربة[7]: بيتان في **المسجد** داخل باب التربة، ودكانان في سوق الأساكفة (10) أبواب، والرَبْع فوق الدكاكين (4) أبواب.

---

[6] – دفتر أوقاف وأملاك لواء طرابلس. رقمه القديم 528، والجديد 551، وقد جاء في آخره : تم الدفتر في شهر رجب المرجب من شهور سنة ثمانين وتسعمائة (1572م)، عدد الصفحات 66 صفحة في 33 ورقة (ناقص في آخره). [تدمري].

[7] – مسجد سيدي عبد الواحد المكناسي.

مجموع المحصول (1200) درهم، يصرف تماما على: التولية، وتلاوة القرآن في التربة كل يوم جزء واحد من نفرين، وزيت وحصير وقنديل في التربة»[8]. انتهى.

هذا ما جاء عن وقف هذه التربة (المقبرة) في الدفاتر، وهذا يعني أن المسجد كان موجودا أصلا من زمن وقف التربة في آخر القرن السابع هجري، كما أن الوقفية نقلت إلى دفاتر الطابو العثماني وأثبتت سنة (980هـ). وإن كانت الوقفية باسم (التربة الأرزَنية) فيترجح حينها أن اسم المسجد أول إنشائه كان (مسجد الأرزَني)، أو (مسجد التربة الأرزَنية)، فمن الممكن أن يكون إنشاؤه للصلاة على الجنائز التي تدفن في هذه التربة. فإن صحت هذه الفرضية فإنه حينها يكون من أقدم مساجد طرابلس المملوكية، ذلك أن واقفها توفي سنة 696هـ، وتاريخ الوقفية يعود إلى سنة تحرير طرابلس من الفرنجة سنة 688هـ، ومساجد طرابلس المملوكية يعود تاريخ بنائها إلى مطلع القرن الثامن هجري، وبذلك يكون هذا المسجد بحسب الوقفية أقدم من الجامع المنصوري الكبير الذي شرع ببنائه سنة 693 هـ وأكمل بناء أروقته سنة 715 هـ.، وأقدم من مسجد طينال الذي بني سنة 736هـ، وغيرها من المساجد والمدارس التي أنشئت في القرن الثامن هجري. والله أعلم.

تصحيح نسبة واقف التربة

ثم إن أستاذنا الدكتور المؤرخ عمر تدمري حفظه الله تعالى كتب في حاشية بحثه عند هذه الوقفية (ص: 70)، ما يأتي: «تربة الأرزُنية – هكذا شكلها بضم الزاي – هي حاليا مسجد الدُّبها، وبها تُرب الشيوخ النقشبنديين، من وقف الأمير طينال، جُدد بناؤها عدة مرات – أُنظر تدمري، مساجد ومدارس طرابلس الفيحاء ص 48. **والمرجَّح لدينا أنها أقدم تربة مملوكية في طرابلس**، بناها بهاء الدين إبراهيم بن

[8] – المجلد الرابع ، صحيفة رقم 70.

الأرزني، الذي استقر كاتبا للدَرْج[9] بعد فتح المدينة وإخراج الفرنج منها عام 688هـ/ 1289م، وكان قبل الفتح يخدم الأمير سيف الدين بلبان الطباخي في حصن الأكراد. ولما انتقل الأمير الطباخي إلى نيابة حلب 691هـ / 1292م، تحول هو عن طرابلس وأقام عنده في حلب إلى أن توفي فيها 696هـ/ 1297م». انتهى.

وصحيح النسبة (الأرزَني) بفتح الزاي لا بضمها، نسبة إلى قرية كبيرة من أعمال ديار بكر اسمها (أرزَن)، ويقال لها أيضا (أرزَن الروم) وهي التي صارت فيما بعد (أرزروم) أو (أرض روم).

جاء في (معجم البلدان)[10]: «الأرزَني: بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الزاى وفي آخرها النون، هذه النسبة الى (أرزَن) وهو موضع بديار بكر»، ثم عدد جماعة ممن اشتهروا بهذه النسبة ممن تخرج منها من العلماء.

وجاء في تاريخ الإسلام[11] للحافظ الذهبي الذي حققه أستاذنا الدكتور عمر تدمري حفظه الله تعالى، في ترجمة واقف التربة، وأنه «إِبْرَاهِيم بْن مُحَمَّد بْن عثمان بْن الخضِر، الشَّيْخ بهاء الدين بن الأرزني، الكاتب. شيخ متميّز، مليح الكتابة، حَسَن الفضيلة، طلب مدّة، وكتب الكثير، وسمع من أصحاب الخُشُوعيّ، وحدَّث ببعض الحصون، وتُوُفيّ فِي رجب بحلب».

---

[9] – كاتب الدّرج ، وهو الذي يكتب المكاتبات والولايات وغيرها في الغالب وربما شاركه في ذلك كتّاب الدّست، ويعبّر الآن عنه بالموقّع. (صبح الأعشى للقلقشندي: 5 / 437).

[10] – 1 / 150، وهناك مدينة أخرى تسمى (أرزَن) كانت تقع في أرمينية ناحية خلاط، وقد اندثرت. ينظر معجم البلدان، المرجع نفسه.

[11] – 52 / 294 . وفيات سنة 696هـ.

وفي الحاشية نقل أستاذنا ترجمةً لواقف التربة هي الأوفى في المراجع، من كتاب (تالي كتاب الوفيات) للصقاعي[12]، جاء فيها:

«بهاء الدين إبراهيم بن الأرزَني الكاتب. كان من وجوه الكتاب والرؤساء، وفيه فضيلة تامّة وكتابة مليحة.

رتب في الأيام الظاهرية في مقابلة الاستيفاء[13] بدمشق، وصرف في واقعة السكر[14] (كذا)، فتوجّه إلى خدمة الأمير سيف الدين الطباخي[15] بعد فتوح حصن الأكراد[16]. وأقام عنده إلى أن فتحت طرابلس في سنة ثمان وثمانين وستمائة. واستقر كاتب درج، وكان فيه خير كثير، فلما انتقل الأمير سيف الدين المذكور إلى النيابة بحلب في سنة إحدى وتسعين وستمائة، توجّه بهاء الدين إلى خدمته وأقام بحلب، ثم توجّه إلى الحجاز، وعاد وتوفي في رجب سنة ست وتسعين وستمائة 696هـ».

ثم أعقب أستاذنا هذه الترجمة بكلام مفاده أن الأرزُني نسبة إلى (أرزُونا) قرية قريبة من حصن الأكراد، علمًا أن النسبة إليها (أرزوني). فقد جاء في (معجم البلدان)[17]:

---

[12] – فضل الله بن أبي الفخر الصقاعي الكاتب (النصراني) (ت726هـ)، تحقيق : جاكلين سوبلة – منشورات المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية – دمشق 1974م . (ص: 36).

[13] – أي الخراج ، وكان له ديوان خاص يسمى: ديوان الاستيفاء.

[14] – أظنها تصحيف عن (العسكر) ووقعات العسكر المملوكي فيما بينهم كثيرة جدا، فلا يكاد يرتقي سدة الحكم سلطان حتى يُقتل ويأتي آخر مكانه. والله أعلم

[15] – الأمير سيف الدين بلبان الطباخي المنصوري، متولي الساحل الشامي. ترجمه الذهبي في تاريخه، فقال: ملك الأمراء، سيف الدِّين بلَبَان المَنْصُورِيّ. أمير جليل، موصوف بالشجاعة والحشمة، وكثرة الغلمان، والعُدد والخيول، وجودة السياسة. عمل نيابة حلب مدة ونيابة طرابُلُس وغير ذَلِكَ. تُوُفّي بالسّاحل فِي ربيع الأول كهلا. (سنة 700).

[16] – كان فتحه سنة 669هـ،

[17] – 1 / 151 .

«أَرْزُونَا: من قرى دمشق، خرج منها أحمد بن يحيى بن أحمد بن زيد بن الحكم الحجوري الأرزوني، حكى عن أهل بيته حكاية، حكى عنه ابنه أبو بكر محمد، قاله الحافظ أبو القاسم».

والصواب أنه نسبة إلى (أرزَن) وليس إلى (أرزونا).

علما أن قرية أرزونا بكاملها تعود ملكيتها إلى دائرة أوقاف طرابلس. وهي مشغولة اليوم من قبل عائلات علوية سكنوها ولا يدفعون لدائرة أوقاف طرابلس أي بدل.

التربة الأَرزَنية (مقابر السادة النقشبندية)

هذه المقبرة ما زالت إلى اليوم، وفيها مقابر بعض رجالات الطريقة النقشبندية.

ولا يعلم على التحديد متى دخلت الطريقة النقشبندية إلى طرابلس، إذ يذكر أستاذنا الدكتور محمد درنيقة رحمه الله تعالى أن أول شيخ اشتهر بهذه الطريقة هو الشيخ إبراهيم الميقاتي الذي ذكره الرحالة الإمام عبد الغني النابلسي في رحلته[18]، حيث ذكر أنه التقى به سنة 1112هـ (1700م). ولكن لا شك بأنها اشتهرت على يد الشيخ أحمد بن سليمان الأروادي، الذي كان خليفة الشيخ خالد العثماني النقشبندي.

وكان إلى زمن قريب يقام في مسجد الدبها مجلس الختم النقشبندي، وقد حضرت فيه بعض المجالس، وذلك أنني تشرفت بالخطابة فيه منذ سنة 1988، حتى سنة 1999م. كما كان لي شرف المشاركة بتوسعته الأخيرة حتى صارت ما عليه الآن.

[18] – صحيفة 48 ، ووصفه بانه: الشيخ الهمام، والشهم الصمصام، الشيخ إبراهيم النقشبندي الميقاتي. وذكر معه أخا له اسمه الشيخ يحيى.

وكان شيخنا مُسنِد لبنان الحاج حسين بن أحمد عسيران النقشبندي، تلميذ الشيخ عثمان سراج الدين، رحمهما الله تعالى، يحضر تقريبا كل يوم جمعة من بيروت لحضور مجلس الختم بعد صلاة العصر في مدرسة الدبها، وأحيانا في مسجد سيدي عبد الواحد المكناسي المجاور لمدرسة الدبها.

مسجد الدبها

كما سبق وبينت هذا المسجد هو في الأصل جامع ملحق بوقف التربة الأرزنية، ثم حول سنة 1234 على يد الشيخ عبد الله الدبها إلى مدرسة عرفت باسمه، وكانت تعرف قبل هذا التاريخ في وثائق الأوقاف بالمدسة البروانية، نسبة إلى مجددها سنة 1163 هـ فخر التجار أحمد بروانة. وقد عرفنا ذلك أثناء ترميم المسجد بعد حرب سنة 1985 في طرابلس، حيث أصاب المسجد أضرار كثيرة بسبب القصف المدفعي. وأثناء الترميم اكتشفنا لوحة محفورة في حائط المسجد الخلفي محفور عليها ما يلي:

«الحمد لله . لما كان شهر رجب الفرد الحرام سنة 1163 نقض بنيان هذا المسجد الشريف وجدد إقامته لوجه الله تعالى فخر التجار أحمد بروانه».

ويومها أخبرت أستاذنا المؤرخ الدكتور عمر تدمري حفظه الله تعالى بهذا الكشف، فَسُرَّ به كثيرا، وأخبرني أنه تم جلاء أمور كثيرة كانت ترد في سجلات الأوقاف تتعلق بالمدرسة البروانية، وما كنا ندري أين هذه المدرسة، حتى تم الكشف عن هذه اللوحة.

اللوحة الحجرية المكتشفة

وعليه ففي زمن العثمانيين وبالتحديد بعيد منتصف القرن الثاني عشر هجري، الثامن عشر ميلادي، كانت إحدى أهم المرات التي تم ترميم المسجد فيها كما مر سابقا من كلام أستاذنا الدكتور تدمري نقلا عن وقفية التربة الأرزنية.

وكانت المدرسة حتى عام 1987 على التخطيط الآتي: بعد الدخول من الباب الرئيس للمسجد ينفتل الداخل إلى اليمين فيدخل إلى فسحة فضائية تتوسطها بركة ماء، وعن يمين هذه البركة مقابر السادة النقشبندية. وبين المقابر وصحن المسجد رواق صغير غير مسقوف في نهايته غرفة بين المسجد والمقبرة، هذه الغرفة كان ينزل فيها الشيخ أحمد بن سليمان الأروادي رحمه الله تعالى، وعلى سدتها كان يختلي ويؤلف كتبه.

والصورتان الآتيتان: الأولى هي لمدخل المسجد الأساس، والذي بني سنة 1234هـ. وتظهر حجارته من الغرانيت المصقول الملون، ونقش فوق الباب تاريخ إنشائه، وهو تاريخ إنشاء المدرسة سنة 1234هـ / 1819م، كما يظهر فيه مواضع رصف الأحذية، كان مكانها، قبل الترميم الأخير، يوجد (دشك) خشبي يجلس عليه الناس للاستراحة.

والثانية للغرفة التي كان يقيم فيها الشيخ الأروادي رحمه الله تعالى، ومن بعده من كان يتولى إمامة المدرسة. والفسحة التي يطل عليها الباب لم تكن مسقوفة، وإنما سقفت في التوسعة الأخيرة سنة 1988م. وهذه الغرفة تفصل بين صحن المسجد والمقابر على اليمين. وقد سمعت من أستاذنا الدكتور تدمري أن (تختية) المدرسة كانت تحوي مجموعة كبيرة من مؤلفات الشيخ الأروادي بخط يده، لكنها سرقت للأسف في الفوضى الأمنية التي ضربت طرابلس في الثمانينات.

البوابة الخارجية لمدرسة الدبها

باب الغرفة التي تقع فوقها السدة التي كان يبيت ويؤلف فيها الشيخ الأروادي

التربة الأرزنية

أما التربة الآن فإنها تضم قبور مجموعة من أتباع الطريقة النقشبندية، أولهم الشيخ عبد الله الدبها الذي ذكر أنه دفن في مدرسته، ولا نعرف على التحديد سنة وفاته، ثم قبر تلميذه الشيخ الأروادي. ثم تلميذي الأروادي: الشيخ حسين العلبي والشيخ خليل السمين، وقبر الشيخ عبد الله ابن الشيخ حسين العلبي الذي استلم إمامة المدرسة بعد والده. وفيها قبر لشيخ نقشبندي اسمه أحمد ، مهمل باقي الاسم، عرفت بعد ذلك من كتاب (الأثر الحميد) أنه الشيخ أحمد العلبي، وفيها قبر مصطفى باشا الإنجا النقشبندي المتوفى سنة 1927م.

وهي متصلة بملعب مدرسة يقع خلفها كانت مدرسة خاصة، لآل الحلبي، وفي الأصل كانت قصر آل سيفا الذين حكموا طرابلس، ولا يستبعد أن يكون القصر باق من العصر المملوكي، وملعب المدرسة هو قطعة من التربة الأرزنية المملوكية.

ملعب المدرسة الذي هو في الأصل قطعة من المقبرة المملوكية

ترجمة الشيخ الأروادي من كتاب (إرغام المريد) لشيخ مشايخنا محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى.

الشيخ الكوثري رحمه الله تعالى كان وكيل مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية في أواخر عهدها، وكان من مناهضي الأتاتوركية، حتى كاد يتعرض للاغتيال على أيديهم، فهاجر إلى مصر فرارا بدينه، وتوفي فيها سنة 1371هـ/ 1952م، وهو شيخ مشايخي:الإمام عبد الفتاح أبو غدة المتوفى سنة 1997م، وإمام تركيا ومحدِّثها شيخنا محمد أمين سَراج المتوفى سنة 1442هـ، 2021م في شهر شباط منها، رحمهما الله تعالى.

والكوثري رحمه الله يروي عن جماعة من كبار تلاميذ الأروادي، وهم: الشيخ الحسن ابن عبد الله القسطموني المتوفى سنة 1329هـ ، والشيخ أحمد بن مصطفى العُمري الحلبي مفتي العساكر العثمانية، المتوفى سنة 1334هـ، رحمهما الله تعالى.

وقد نظم قصيدة في سلسلة رجال الطريقة النقشبندية من لدن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وصولا إلى الشيخ خالد النقشبندي المجددي ثم تلامذته شيوخ الكوثري. ومما قاله عن الشيخ الأروادي:

كذا بأحمدَ أروادِيِّنا السيدِ الـ * غَوثِ النسيبِ مُفيضِ الفَيْضِ كالدِّيَمِ

وقال في شرح القصيدة المسمى (إرغام المريد في شرح النظم العتيد):

«ومفردات البيت بينةٌ غير محتاجة إلى البيان، فالمراد به قطب العارفين، مربي المريدين، مرشد الأصاغر والأكابر، الذي لا تسع فضائله بطون الدفاتر، شيخ الجهابذة، الطود الأشم، وأستاذ الأساتذة، الفرد العلم، محي العلوم الدوارس، ومظهر المعارف النفائس، قاصم ظهور الأعادي، السيد أحمد بن سليمان الطرابلسي الأروادي، قدس سره الهادي، وهو حسيني النسب، وحائز لأكمل المقامات وأعلى الرتب».

ثم شرع بترجمة الشيخ الأروادي رحمه الله تعالى، فقال:

«ولد في (أرواد) ناحية من نواحي طرابلس الشام، وحصَّل في بلده مبادئ العلوم من الأعلام، ثم ارتحل إلى شواسع البلاد لاقتناص العلوم من الأفراد، وحضر دروس أشياخ الوقت: كالشيخ محمد الفضالي، ومفتي الديار المصرية السيد أحمد التميمي الخليلي، والمحقق إبراهيم الباجوري، والشيخ عبد الرحمن الأشموني، والشيخ مصطفى المبلط الأحمدي، وخاتمة المحققين العلامة ابن عابدين، ومحدث الشام الشيخ عبد الرحمن الكزبري الصغير، والشيخ حسين الدجاني، والشيخ حامد العطار، والشيخ عمر فيضي، وغيرهم من العلماء المصريين، والمحدثين الفضلاء الشاميين [على ما بسط في ثبته واستوفى فيه ذكر أساتذته] حتى حاز قصب السبق في العلوم.

وأجازه شيوخه بالمنطوق والمفهوم، وشهدوا بسعة اطلاعه ورسوخه، بل فاق على كثير من أساتذته وشيوخه».

وبعد ذكره إجازته بالإرشاد من جماعة من شيوخ الطرق الصوفية، قال:

«ثم لازم خدمة القطب الأعظم، والملاذ الأفخم، مولانا خالد، قدس سره، وارتضع منه ثدي العرفان، وتربى لديه برهة من الزمان، حتى قطع عقبات السلوك، ونبع الحكم من قلبه بزوال الشكوك، وصعد أوج الكمال، وبلغ أقصى مبالغ الرجال، فشرفه شيخه بإجازة الإرشاد».

قال الإمام الكوثري رحمه الله تعالى: «فما من عِلم إلا وللمترجَم فيه حظ وافر، وما من طريق إلا وله فيه الفضل الجزيل المتكاثر».

كما ترجمه الشيخ محمد أسعد الخالدي في حاشيته على (الحديقة الوردية في ذكر رجال الطريقة النقشبندية) عند ذكر خلفاء عمه الشيخ خالد النقشبندي، فقال:

«ومنهم العالم العلامة، المرشد الكامل الفهامة، العارف الصمداني، والهيكل النوراني، الراوي بفياض مدده غليل الصادي، الشيخ أحمد بن سليمان بن عثمان الطرابلسي الأروادي، فإنه رحل إلى حضرة مولانا خالد قدس سره بعد حلوله بدمشق الشام، وسلك على يديه برهة من الأيام، وخلفه الخلافة المطلقة، وأذن له بالإرشاد.

وعلى ما فُهم من كلامه في قصيدته الرائية أنه خاتمة الخلفاء الخالدية، بوّأهم الله الرضوان في البكرة والعشية.

وقد اشتهر الشيخ المترجم بالولاية، والعلم، والحلم، والدراية. وله خلفاء أجلاء، من أكملهم العارف الكبير، والفاضل النِّحرير، الشيخ أحمد بن مصطفى ضياء الدين الگموشخانوي، نزيل القسطنطينية، صاحب التآليف المشهورة.

و كان المترجَم له شاعرا، ناظما، فاضلا، نحريرا. وتآليفه بلغت مائة وكسورا، على ما ذكره رحمه الله بإجازته للشيخ أحمد الگموشخانوي، التي أطلعني عليها عند اجتماعي بحضرته الشريفة في دار الخلافة العلية.

وكان لسيدي الوالد الماجد، قدس سره، أنظار عالية، وكان يداعبه ويقول له: تصلح أن يقال لك قطب السواحل الشامية يا شيخ أحمد.

وتوفي في طرابلس الشام في حدود سنة خمس وسبعين بعد المئتين وألف، ودفن في مسجد هناك يعرف بمسجد (الدباء) لصيق حائطه القبلي، رحمه الله تعالى، وأدام على ضريحه نفحات الرضوان تتوالى». انتهى.

وأيضا ترجمه الإمام عبد الحي الكتاني في كتابه الحافل (فهرس الفهارس والأثبات)، فقال: « أحمد بن سليمان الأروادي الطرابلسي، مُسنِد طرابلس الشام في أواخر القرن المنصرم، أي الثالث عشر هجري، وشيخ الطريقة النقشبندية بها، وهو من أكبر خلفاء مولانا خالد النقشبندي دفين دمشق، يروي عن ابن عابدين، والوجيه الكزبري، والبرهان الباجوري، والبولاقي، وحسين الدجاني، وأحمد التميمي، وتلك الطبقة، وله التصانيف التي تجاوزت المائة، كتاريخ كبير، وألفية في علوم الأدب، والتِّبر المسبوك في نهاية السلوك، ورسالة في الطريقة الحاتمية، وله ثبت أرويه –يقول الكتاني– وكل ما له عن الشيخ أبي النصر الخطيب الدمشقي ومحمد سليم المسوتي الدمشقي كلاهما عنه عاليًا، وأروي عن محمد بن عبد الرحيم النشابي الطندتائي ومحمد بن سالم طموم المنوفي عن أحمد بن مصطفى الكمشخانوي نزيل الآستانة عن الأروادي المذكور فإنه شيخه رواية وطريقة، وقد أجاز الأروادي المذكور لأهل عصره عامة وذلك 9 صفر سنة 1272، وكانت وفاته في طرابلس الشام في حدود سنة 75 بعد المائتين وألف».

والملاحظ أن كل من ترجم له ذكر أن وفاته في حدود 1275هـ، وهذا يعني أنهم لم يزوروا قبره، لأنه كتب عليه أن سنة الوفاة هي 1275 على التحقيق.

قبر الشيخ أحمد الأروادي رحمه الله تعالى. وقد حفر على شاهده الأبيات الآتية:

يا فتاح

زُر قبر أحمدنا الذي / بالفيضِ للزوار يُنجدْ

النقشبندي الخالدي / من للطريق سعى يُمَهِّد

حاوي الشريعة والحقيقة / كم لراجٍ كان يُرشد

قد كان قطب زمانه / للحق يدو وهو مُرشد

وأجاب لما أن دعى / لبيك من قلب موحِّد

واشهد وأرِّخ طيبا / خليفة الهادي المجدِّد

سنة 1275

يقول الإمام الكوثري رحمه الله:

«وكان الأروادي مجازًا من أساتذته بجميع الصحاح، والمسانيد، والسنن، وبكتب التفاسير، والفقه، والعربية، وسائر الكتب المدونة بأسانيدَ إلى مؤلفيها. وعد الشيخ المترجم الكتب التي أُجيز بها في ثبته الذي أجاز به خاتمة المحدثين الضياء الگموشخانوي محذوفة الأسانيد، وأحال بيانها إلى أثبات أشياخه، لا سيما ثبت خاتمة الفقهاء العلامة ابن عابدين، وثبت حامد العطار، والكزبري، وعمر الفيضي، وغيرهم.

والحاصل أنه مسنِدُ الوقت، حيث كان ثَبَتُهُ أجمعَ الأثبات، بأن احتوى جميع روايات أئمة عصره الثقات، ففي كل سنة يختم راموز الأحاديث غدوةَ يوم الخميس الأولِ من رجب، في تكية العارف الگموشخانوي، و يجيز شيخ الحديث هناك بثبت الگموشخانوي المحتوي لروايات العلامة الأروادي عن أساتذته المذكورين فيكون لمن يجاز هناك حق رواية الكتب بأسانيدها إلى مؤلفيها المعنعنة في ثبت ابن عابدين [المسمى بعقود اللآلي في الأسانيد العوالي المطبوع بدمشق سنة اثنتين وثلثمائة وألف، وهو ضخم في بابه، يبلغ ٢٤٨، صفحة فمن أراد الاطلاع على أسانيد الكتب المذكورة في ثبت العارف الكموشخانوي فليراجعه]، وثبت العطار، وثبت الكزبري، **فدامت بذلك أنساب الكتب وتسلسلت جزاهم الله عنا خيرًا.**

وله تأليفات حسان منها: تاريخ كبير، ومنها ألفية في علوم الأدب، ومنها مرآة العرفان ولبه في شرح رسالة من عرف نفسه فقد عرف ربه، ومنها كفاية المريد من مهمات الطريق، ومنها كتاب النور المظهر في شرح الصلاة الوسطى للشيخ الأكبر، ومنها كشف الستور عن معاني صلاة النور، ومنها الإلهامات الربانية في شرح الصلاة الذاتية، ومنها رسالة في الرابطة بيَّن فيها شمائل رجال الطريقة، وترجمتها مطبوعة، ومنها رسالة في الخلوة».

وفي ترجمة لتلميذه ضياء الدين الكمشخانوي كتبها الأستاذ شركان أونال التركي، ذكر فيها شيوخه، ومنهم الإمام الأروادي، ذاكرا أنه سافر إلى لقاء الشيخ خالد النقشبندي، وأنه صار خليفته في طرابلس الشام، بل خاتمة خلفائه على الإطلاق. قال:

«ومنهم: مفتي طرابلس الشام الشيخ أحمد بن سليمان بن عثمان الأروادي المتوفى سنة 1275هـ/ 1858م.

وقد أخذ الكمشخانوي منه إجازات في الحديث، والتصوف، وفي شتى العلوم. وهو من أهل طرابلس الشام، وأصله من جزيرة أرواد له أكثر من مئة مصنف. نقل الكوثري في «إرغام المريد» عن الشيخ محمد أسعد الخالدي أنه قال عن الأروادي:

«فإنه رحل إلى حضرة مولانا خالد قدس الله سره بعد حلوله بدمشق الشام، وسلك على يديه برهة من الأيام، **وخلفه الخلافة المطلقة، وأذن له بالإرشاد**، وعلى ما فهم من كلامه في قصيدته الرائية **أنه خاتمة الخلفاء الخالدية**»

وقال: «وكان المترجم له شاعرًا، ناظمًا، فاضلًا، نحريرًا، وتآليفه بلغت مائة وكسورًا، على ما ذكره رحمه الله بإجازته للشيخ أحمد الكموشخانوي».

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشيخ أحمد بن سليمان الأروادي هو الوحيد من أرواد الذي اشتهر بطلب العلم وذكر في الكتب. فإننا لا نجد في كتب التراجم ولا في كتب الأنساب من اشتهر بالعلم من تلك الناحية إلا الشيخ أحمد رحمه الله تعالى. وهذا لا يعني عدم الوجود مطلقا، غير أنه لم يذكر أحد من تلك الناحية غيره.

وهكذا دخلت الطريقة النقشبندية رسميا إلى طرابلس الشام، وصار لها مدرسة مستقلة هي مدرسة الدباء (البروانية – الدبها)، فكان يعقد فيها مجلس الختم النقشبندي بشكل منتظم، ولم ينقطع إلا في أواخر التسعينات من القرن المنصرم، فإنني سافرت من طرابلس إلى أستراليا سنة 1999م، والمجلس كان لا يزال ينعقد، ثم إنه توقف بعد ذلك.

تلامذة الشيخ الأروادي من الطرابلسيين

عرفنا أن الشيخ الأروادي رحمه الله تعالى كان له تلاميذ كبار من أهل تركيا، هما الإمامان الكُمُشخانوي، والقسطموني. كما كان له تلاميذ من بلاد أخرى، من مثل الشيخ أحمد بن مصطفى العُمري الحلبي، مفتي العساكر العثمانية.

إلا أنه كان له تلاميذ طرابلسيون سلكوا على يديه في الطريقة النقشبندية، عرفنا منهم اثنين لأنهما مدفونان بجواره في التربة الأرزنية، أولهم:

الشيخ حسين العُلبي النقشبندي الخالدي، المتوفى في 7 ذي الحجة من سنة 1291هـ رحمه الله تعالى. وقد كتب على قبره العبارات الآتية:

زُر قبر مولانا الوليِّ الماجدِ بدرِ الكمالِ النقشبندي الخالدي

وقل السلام على الحسين المرتضى قطبِ الوفا العُلَبي ملجأ القاصدِ

نورُ الولاية ساطع بجبينه عَلَمُ التقى، بحرُ الهدى للواردِ

ركنُ الطريق له الجنان تزخرفت وحباه مولاه سَنِيَّ مقاصدِ

الأمنَ بَشِّرْ مولىً أتى تاريخه طوبى له ضيفُ الرحيم الواحدِ

شاهد قبر الشيخ حسين العُلبي رحمه الله تعالى تلميذ الأروادي.

الشيخ خليل السَّمين

الثاني هو الشيخ الإمام الكامل المُحَدِّث خليل السَّمين المتوفى سنة 1293هـ. والبعض يقول (الثمين) بالثاء، لكنني أثبت الإسم كما هو محفور على قبره رحمه الله تعالى كما سيأتي.

والشيخ خليل له ترجمة وافية في كتاب الأستاذ عبد الله نوفل (تراجم علماء طرابلس)[19]، ومما قاله: «أما المترجَم الشيخ خليل أفندي فقد وُلد سنة 1213ه، وكان رحمه الله، عالمًا فاضلا، وشاعرًا مطبوعًا، تلقى علومه الدينية والعقلية على أفاضل علماء عصره في الفيحاء، ثم سافر إلى مصر، ودخل الجامع الأزهر، فلبث فيه أعوامًا كان بها موضع إعجاب علماء ذلك المعهد الكبير، وبعد رجوعه إلى بلده نال منصب نقابة الأشراف، وعُيِّنَ خطيبًا وإمامًا في الجامع الشهير بالبرطاسي».

[19] – ص 258 – 259.

وقال: «وللمـُتَرجَم – أي الشيخ الثمين – رحمه الله مؤلفات كثيرة، منها: أرجوزة في علم الفرائض، شرحها العلامة الكبير الشيخ محمد أفندي الحسيني الشهير. وله كتاب السراج الوهاج لإيضاح ما يلزم الحاج، وكتاب الرحلة الحجازية، وقد ضمنها كثيرًا من شعره،..، وغير ذلك من المؤلفات المفيدة. وله تخميس لطيف للبردة الشريفة نقتطف منه هذه الأبيات:

أجفوةُ الحبِّ أنسَتْ لذةَ الحُلُمِ أم شِدَّةُ الوجدِ أَبْدَتْ حُلَّةَ السَّقَمِ

أم تلك لوعةُ صَبٍّ بالغرام رُمي أمِّن تذكر جيران بذي سَلَمِ

مَزَجْتَ دمعًا جرى من مُقلةٍ بدمِ

ومنها:

واضْرَعْ لربكَ كي تبقى به علَما واسأله، فهْوَ الذي بالسر قد علِما

أيِّد لروحك سنة العُلَما وخالف النفسَ والشيطان واعصهما

وإن هما محضاكَ النُصحَ فاتَّهِمِ

قال: وله غير ذلك كثير من القصائد، وتوفاه الله تعالى سنة 1293 هجرية رحمه الله».

وتاريخ الوفاة صحيح، فهو المحفور على قبره، كما حفر على شاهده أبيات نفهم منها أنه كان من المُحَدِّثين أصحاب الأسانيد المتصلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وقد حفر على قبره الأبيات الآتية:

يا زائرًا قبرًا لشمس أفاضلِ عرِّضْ بذكرى للإمام الكاملِ

واخضع له بتذللٍ وتأدبٍ وقل: السلامُ على الخليلِ الفاضِلِ

كنزِ العلومِ وبحرِها، بل برِّها سنَدُ الحديث له عُزي بتواصُلِ

ولقد دعى الخِلَّ السمينَ إلهنا لجنابه، وحباه خير منازِلِ

في جنة الفِردوس قلت مؤرخا نال النعيمَ به جميلُ فضائل

سنة 1293 هـ

شاهد قبر الشيخ خليل السمين، ويظهر في الصورة جزء من التربة الأرزنية التاريخية

وبالإضافة إلى قبور العلماء الأفاضل: الأروادي وتلميذيه: العُلَبي والسَّمين، فإنه توجد قبور لبعض السادة النقشبندية أيضا، منهم: الشيخ علي الثمين النقشبندي المشهور بابن البتول، ولم أجد له ترجمة فيما بين يدي من الكتب، إلا أنه كتب على قبره أنه ملقب بابن البتول، وأنه كان من أهل الفضائل والمكارم، وأن وفاته كانت في 25 شعبان من سنة 1315هـ.

ومنهم الشيخ أحمد ، هكذا مهمل ثم تبين لي من خلال كتاب الأثر الحميد أنه الشيخ أحمد العلبي، وقد كتب على قبره الأبيات الآتية:

هتفت ملائكة السماء لأحمدا لما أتاها بالتُّقى متقلِّدا

نفسٌ مع الأملاك صارت فرقدا وهي التي للناس كانت مُهتدا

عرجَتْ لمهبطها وقد ضمن البُشرى بغلافها فاختار فيه المرقدا

لو لم تكن هدى البيت خير محتدا ما كان أحمدُ فوقها متوسدا

فرِحَتْ بمقدمه الجنانُ فأرختْ (حُرسَتْ)[20] (!) ملائكة الجنان بأحمدا

15 شوال 1351 هـ

[20] – هذه الكلمة أعجزني بيانها فكتبتها كما هي مرسومة مع قناعتي بأنها حتما ليست هكذا، فلعلها تتبين لغيري من الباحثين.

شاهد قبر الشيخ أحمد العلبي النقشبندي

ومن السادة النقشبندية المدفونين في هذه المقبرة، الشيخ عبد الله ابن الشيخ حسين العلبي النقشبندي، المتوفى في 14 صفر سنة 1337 هـ. ويبدو أنه خلف والده في الطريقة وإمامة المدرسة، كما يظهر من الأبيات المحفورة على قبره، فعرفنا بذلك أن الشيخ حسينا العلبي كان إماما للمدرسة بعد شيخه الأروادي. أما الأبيات المحفورة على قبر الشيخ عبد الله العلبي، فهي:

قد سِرْتَ للمولى بغير قصورِ فنزلت بالفردوس خير قصورِ

لازمتَ، عبدَ الله، خدمة بيته فحباك سكنى بيته المعمورِ

ولزمتَ يا ابن إمامهِ العلبي في محرابه التقوى بلا تقصير

وسلكت خير طريقة نقشيةٍ ملأت فؤادك بالهدى والنورِ

سبَقَتْ لك الحُسنى بذاك فأرخوا أبشِرْ بجنات السلام، بِحورِ

قبر الشيخ عبد الله ابن الشيخ حسين العلبي

وهناك قبور أخرى لم أتبين تماما من هم أصحابها، أحدها يُفهم من المكتوب على شاهدها أن اسمه الشيخ مصطفى وأنه كان مالكي المذهب، وليس على الضريح تواريخ.

الخاتمة

هذه شذرةٌ من تاريخ طرابلس الشام المقروء، تشهد بأن مدينة طرابلس الشام هي متحف تاريخي حي، تزخر بكل أنواع الآثار العمرانية والحضارية التي تظهر مدى التقدم العمراني، والرقي الحضاري والعلمي الذي بلغته طرابلس برجالها وأبنائها. مع لفت النظر إلى أنني لم أعتمد في بحثي على غير الآثار المنظورة، ولم آخذ من الكتب إلا ما أشرح به الأثر المنظور الباقي. وكلي أمل بأن يتجرَّد بعض الطلبة لدراسة الآثار المنظورة الباقية بأسلوب اجتماعي يجلي حقيقة تاريخ هذه المدينة وحاضرها، دحضا لافتراءات المغرضين الذين يريدون أن يشوهوا وجهها، أو يطمسوا تاريخها.

تم البحث